وصايا لقمان الحكيم من خلال سورة لقمان
(دراسة تحليلية)

د. حسن بن علي بن علي عريشي

وكيل كلية العلوم والآداب ببلجرشي بجامعة الباحة

المملكة العربية السعودية

مُقَدِّمة

الحمد لله القائل ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [**البقرة**: 269]،والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير البرية وأزكى البشرية ، وصفه ربه بقوله سبحانه ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[الجمعة: 2] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنّ أَوْلَى ما تتوجه إليه الهمم ، وتُشغل به الأوقات ، وتُفنى فيه الأعمار ، كتاب الله سبحانه وتعالى ، وقد سخر الله لكتابه على مر العصور من يبيِّن مراده، ويستخرج حكمه وأحكامه، وحلاله وحرامه، ولايزال طرياً، لا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، وهذا إن دل فإنما يدل على عظمة من تكلم به سبحانه وتعالى .

ومما زادني شرفاً أن أكون أحد هؤلاء الركب، فقد وفقني الله تعالى للبدء في تفسير وصايا لقمان عليه السلام – تفسيراً تحليلياً – ، أقف على موضوعاتها وأفسر آياتها مستعيناً بالله تعالى .

سائلاً من الله العون والسداد والتوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين .

أهمية الموضوع:

1ـ ما تصوره هذه الوصايا العظيمة من منهج تربوي واجتماعي ونفسي لا نظير له، مما يجدر الوقوف عليها، والغوص في معانيها .

2ـ حاجة المجتمع للعمل بتلك الوصايا المليئة بالقيم التربوية، والتي شملت علاقة الفرد مع ربه ووالديه وعلاقته مع مجتمعه ومع من حوله.

3ـ ما تضمنته الوصايا من مقومات للمجتمع الإسلامي ابتداءً بتوحيد الله تعالى وعبادته وإقامة شرائع دينه وانتهاءً بالحذر من الصفات القبيحة .

أسباب اختيار الموضوع:

1ـ إبراز وصايا لقمان لابنه في بحث مستقل لما تضمنته من معانٍ تربوية عظيمة .

2ـ لم أجد – حسب بحثي واطلاعي– على تفسير تحليلي مستقل حول وصايا لقمان لابنه، وإبراز هداياتها.

أهداف البحث:

1 – الوصول إلى تحرير القول في نبوة لقمان عليه السلام أو ولايته .

2 – بيان أهداف السورة ومقاصدها .

3 – معرفة القيم العظيمة التي اشتملت عليها الوصايا من توحيد الله والتحذير من الشرك به، والقيم التربوية التي تضمنت أبرز مقومات المجتمع المسلم.

منهجية البحث :

المنهجالمتبع في البحث هو (المنهج التحليلي)

المنهج المتبع في البحث :

و سأتبع في بحثي الخطوات الإجرائية التالية :

1 –شرح الكلمات الغريبة.

2 –ضبط ما يُشْكِل فهمه، وما لا يُشكِل فلا أضبطه .

3 –عزو الشواهد الشعرية إلى قائليها.

4 –تخريج الأحاديث تخريجا علمياً موجزاً فإذا كان في الصحيحين أو في أحدهما فسوف أكتفي بهما.

5 –المعول عليه في معرفة طبعات المصادر والمراجع هو الفهرس الخاص في آخر الرسالة، لصعوبة ذكر الطبعة دائما عند أول موضع لكثرة عدد المراجع، ولكي لايتكرر ذلك.

6 –الاعتماد على الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية، برواية حفص عن عاصم.

هيكل البحـــث:

تضمّن الهيكل : مقدمة، وثلاثة مباحث وتحتها عدد من المطالب،وخاتمة. وجاءت على النحو التالي:

المقدمـــــــــة، وتشمل الآتي:

أهمية الموضوع

أسباب اختيار الموضوع.

أهداف البحث

منهجية البحث .

المنهج المتبع في البحث.

هيكل البحث.

المبحث الأول : بين يدي سورة لقمان ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : أسماء السورة .

المطلب الثاني : مكية السورة أو مدنيتها .

المطلب الثالث : مناسبة آيات الوصايا لما قبلها .

المطلب الرابع : اسم لقمان ونسبه .

المطلب الخامس: تحرير القول في نبوته أو ولايته .

المبحث الثاني: تفسير الآيات، وفيه عشرة مطالب :

المطلب الأول : الحكمة في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان: 12]

.

المطلب الثاني:الوصية بالشكر في قوله تعالى:﴿ أَنِ اشْكُرْ لله ﴾[لقمان: 12]

المطلب الثالث : الوصية بالتحذير من الإشراك بالله تعالى .

المطلب الرابع : الوصية ببر الوالدين وطاعتهما .

المطلب الخامس : اتساع علم الله سبحانه وتعالى ، وإحاطته بكل شيء

المطلب السادس : الوصية بإقام الصلاة .

المطلب السابع : الوصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المطلب الثامن : الوصية بالصبر على أقدار الله تعالى .

المطلب التاسع : الوصية بالتواضع مع الناس ، والبعد عن الكبر .

المطلب العاشر : الوصية بالتأدب في المشي ، والكلام .

المبحث الثالث : المعنى الإجمالي وهدايات الآيات ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المعنى الإجمالي للآيات

المطلب الثاني : هدايات الآيات .

الخاتمـــــــة: وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

(وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾) [هود:88]

المبحث الأول

بين يدي سورة لقمان

المطلب الأول : أسماء السورة .

لم يرد من أسماء السورة إلا سورة لقمان فهي من السور التي لها اسم واحد، قال ابن عاشور : " وليس لها اسم غير هذا الاسم، وبهذا الاسم عرفت بين القراء والمفسرين، ولم أقف على تصريح به فيما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند مقبول "[1].

وسبب التسمية هو ما خصت به من ذكر للقمان عليه السلام ووصاياه وجملٍ من حكمته التي أدب بها ابنه[2]، ولم يرد ذكر لقمان إلا في هذه السورة .

وهذه عادة عند العرب أنها تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر

(١) (التحرير والتنوير (21/ 137)

(٢) ينظر : التحرير والتنوير (21/ 137) بتصرف يسير .

فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز "[1].

المطلب الثاني : مكية السورة أو مدنيتها .

جمهور المفسرين أن سورة لقمان مكية [2].

وتوجد رواية عن عطاء أنه قال: هي مكّيّة سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة، وهما قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ لقمان 27، 28] ، وروى عن الحسن أنه قال: إلّا آية نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [لقمان: 4]، لأنّ الصلاة والزّكاة مدنيّتان[3].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (1/ 270)

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (4/ 193) ، النكت والعيون (4/ 326) ، تفسير السمرقندي = بحر العلوم (3/ 20) ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (3/ 372) ، تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (7/ 309)،التفسير الوسيط للواحدي (3/ 440) ،تفسير السمعاني (4/ 225) ، تفسير البغوي (6/ 280) ، زاد المسير في علم التفسير (3/ 429) .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (4/ 193) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 345) ، زاد المسير في علم التفسير (3/ 429) .

والصحيح هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين أن السورة مكية كلها والله أعلم .

المطلب الثالث : مناسبة آيات الوصايا لما قبلها .

لما بيَّن الله فساد اعتقادهم بسبب عنادهم بإشراك من لا يخلق شيئا بمن خلق كل شيء بقوله سبحانه :﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: 11] وبين أن المشرك ظالم ضال، ذكر ما يدل على أن ضلالهم وظلمهم بمقتضى الحكمة، ولما ثبتت حكمته سبحانه وأنه أبعد من كفر به عنها بما قضى عليهم من الجهل وغباوة العقل وآتاها من تاب، واعتصم بآيات الكتاب الذين قبلوا آياته وأحسنوا التعبد له فما عبدوا صنماً ولا مالوا إلى لهو، لأن ذلك عين الحكمة لكونه وضعاً للشيء في محله [1].

أقول : بيَّن سبحانه أن كل ما سبق هو خلقه، وأن الأصنام التي تُعبد من دونه لم تخلق شيئاً، ولهذا قال تعالى مستفهماً استفهاماً تقريعياً وتوبيخياً ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: 11] والمعنى: فأروني أي شيء خلقوا مما يحاكي خلق الله أو يقاربه .

والذي ينبغي فعله هو ما أمر الله تعالى به لقمان عليه السلام شكره سبحانه على هذه النعم العظيمة، وإفراده بالعبودية وعدم الإشراك به، وقد بدأها الله تعالى في أول وصايا

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب (25/ 118)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (15/ 155)

لقمان لابنه، فمن خلق ورزق هو المستحق للعبادة، وما حاد عن ذلك فهو ضلال مبين.

المطلب الرابع : اسم لقمان ونسبه :

اسمه ونسبه : اختلف المفسرون وغيرهم في اسم لقمان عليه السلام على قولين:

القول الأول : هو لقمان بن باعوراء ابن ناحور بن تارح .

واختار هذا القول: الثعلبي، والبغوي، والزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، و أبو السعود [1].

القول الثاني: هو لقمان ابن عنقاء بن سدون [2].

واختاره: السهيلي، وقال وَلُقْمَانُ كَانَ نُوبِيّا مِنْ أَهْلِ أَيْلَةَ وَهُوَ لُقْمَانُ بْنُ عَنْقَاءَ بْنِ سُرُور" [3] .

(١) ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (7/ 312) ، معالم التنزيل (6/ 286) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 492) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (4/ 213) ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (2/ 713) ، لباب التأويل في معاني التنزيل (3/ 397) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (7/ 71) .

(٢) تفسير القرطبي (14/ 59)

(٣) الروض الأنف (4/ 40)

تنبيه : ورد في بعض الكتب (سرور) وبعضها (سدون) ، والذي يظهر لي (سدون) لأن الأكثرية على هذا. وفي آخر المطاف يبقى الأمر على ما تم ترجيحه . والله أعلم .

واختاره كذلك: ابن كثير [1] .

ورجحه الزحيلي، فقال:" وهو كما ذكر ابن كثير لقمان بن عنقاء بن سدون" [2].

وذكر هذا القول: القرطبي نقله عن السهيلي، وذكره الشوكاني [3].

أقول: – والعلم عند الله تعالى – إنّه لم يترجح لي أحد القولين، لأنه لم يرد ذلك في كتاب ربنا ولا في سنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وحسبنا ما ورد في كتاب الله تعالى أن اسمه لقمان، إذ العبرة والمقصد تأمل وتدبر الوصايا والعمل بها، وما من الله به عليه من الحكمة والعلم والتقوى .

وأما الجهل باسم أبيه وكنيته، ومن أي البلاد هو، وأبيض أو أسود إلى غير ذلك مما ورد في كلام المفسرين، فإن العلم به لا ينفع و الجهل به لا يضر، والله أعلم.

المطلب الخامس: تحرير القول في نبوته أو ولايته .

اختلف العلماء في نبوة لقمان أو ولايته على قولين:

القول الأول: أنه لم يكن نبياً، بل ولياً، ورجلاً صالحاً، وعلى هذا ذهب جمهور أهل التأويل [4].

---

(١) تفسير ابن كثير (6/ 300)

(٢) التفسير المنير للزحيلي (21/ 145)

(٣) ينظر : تفسير القرطبي (14/ 59) ، شرح الزرقاني على الموطأ (4/ 650) ، وفتح القدير (4/ 273) .

(٤) تفسير القرطبي (14/ 59)

قال الطبري بسنده عن مجاهد: كان لقمان رجلاً صالحاً، ولم يكن نبياً[1].

وقال ابن كثير: " ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً "[2].

القول الثاني : أن لقمان عليه السلام كان نبياً .

وممن قال بنبوته: عكرمة، والشعبي[3].

الترجيح: يترجح لي أن لقمان عليه السلام لم يكن نبياً، وسبب ترجيحي لهذا القول :

1ـ أنه قول جمهور المفسرين، وفي الغالب قول الأكثر أقرب للصواب وأبعد عن الخطأ.

ومن القواعد المقررة في التفسير: ما ذكره ابن جزي في مقدمة تفسيره عند كلامه على الترجيح، فقال: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإنّ كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"[4].

2ـ ضعف الإسناد في ما يروى عن عكرم ة كما قال ابن كثير: " فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً، ومنها ما هو مشعر بذلك؛ وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة -إن صح السند إليه ـ فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن

(١) جامع البيان (20/ 135)

(٢) تفسير القرآن العظيم (6/ 334)

(٣) ينظر : جامع البيان (20/ 136)، وتفسير القرطبي (14/ 59) ،

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: (1/ 19). **تنبيه : ليس شرطاً أن يكون أكثر القائلين بالقول أنه هو الراجح، وإنما هذا في الغالب.**

إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة فقال: كان لقمان نبياً، وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، والله أعلم "[1].

المبحث الثاني

تفسير الآيات

المطلب الأول : الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ **[لقمان: 12].**

الحكمة لغة: مَا أَحاط بحَنَكَي الدَّابَّةِ، وَفِي الصِّحَاحِ: بالحَنَك، وَفِيهَا العِذاران، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأَنها تَمْنَعُهُ مِنَ الْجَرْيِ الشَّدِيدِ، مُشْتَقٌّ مِنْ ذَلِكَ[2].

وقال الفيروز أبادي: والحَكَمَةُ، محرَّكةً: ما أحاطَ بِحَنَكَي الفَرسِ من لِجامِه[3].

وكل من منعته من شيء فقد حكمته وأحكمته[4].

والحكمة اصطلاحاً لها عدة معان وكلها صحيحة لا إشكال فيها، ومن ذلك:

قيل: هي فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي[5].

---

(١) تفسير ابن كثير (6/ 334)بتصرف .

(٢) لسان العرب 12/ 144]

(٣) القاموس المحيط (ص: 1095)

(٤) [تاج العروس 31/ 514]

(٥) [مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين 2/ 449]

وقيل: هي وضع الشيء في موضعه [1].

وقيل: الحِكْمَةُ: العِلْمُ بحَقائق الأَشْياءِ على مَا هِيَ عَلَيْه، والعَمَلُ بُمُقْتَضاها [2].

واختلف المفسرون في معنى الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾:

القول الأول: «الْفِقْهَ وَالْعَقْلَ وَالْإِصَابَةَ فِي الْقَوْلِ فِي غَيْرِ نُبُوَّةٍ»

اختاره: مجاهد، وعبد الرزاق، والطبري، وابن أبي حاتم، وابن أبي زمنين، وابن عطية، والجلالان [3] .

وذكر هذا القول: الواحدي [4]، وابن الجوزي، والسيوطي نقله بسنده عن ابن عباس.

القول الثاني : العلم والفهم.

---

(١) ينظر : [جمهرة اللغة 1/ 125] لابن دريد الأزدي . [الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ،للسنيكي ص: 73] .

(٢) [تاج العروس 31/ 512]

(٣) ينظر : تفسير مجاهد ص: 541 ، و تفسير عبد الرزاق 3/ 21 ، جامع البيان 20/ 134 ، و تفسير ابن أبي حاتم 9/ 3097 ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين 3/ 374 ، ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 4/ 347 ،تفسير الجلالين ص: 541] .

(٤) ينظر : الوسيط 3/ 442 ، زاد المسير في علم التفسير 3/ 430 ، [الدر المنثور في التفسير بالمأثور 6/ 511] .

وهو قول: ابن عباس، ومقاتل، وابن كثير[1] .

القول الثالث : الْفَهْمَ وَالْعَقْلَ .

اختاره : السدي، والشوكاني [2] .

القول الرابع: النبوة .

ذكره ابن الجوزي، وقال: وفيها قولان: أحدهما: الفهم والعقل، قاله الأكثرون. والثاني: النبوَّة[3].

وذكره:النيسابوري[4]، والسيوطي نقله بسنده عن قتادة [5] .

وهناك أقوال أخرى: كالقول بأن الحكمة: القرآن، والأمانة، نقلها الطبري بسنده عن مجاهد[6] .

لكن يظهر لي- والعلم عند الله تعالى- أن مجاهداً وإن أورد المعنيين، إلا أنه لم

(١) ينظر : [تنوير المقباس من تفسير ص: 344] ، و تفسير مقاتل بن سليمان 3/ 434 ، تفسير ابن كثير (6/ 335)

(٢) تفسير يحيى بن سلام 2/ 672 ، فتح القدير للشوكاني 4/ 276]

(٣) [زاد المسير في علم التفسير 3/ 430]

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان 2/ 47

(٥) : [الدر المنثور في التفسير بالمأثور 6/ 511]

(٦) ينظر : جامع البيان 20/ 136، النكت والعيون 4/ 332

يختارها، لأنه في تفسيره لم يذكر سوى المعنى الأول[1].

وقد نقل القشيري معانيَ للحكمة حيث قال: «الْحِكْمَةَ» معرفة قدر نفسك حتى لا تمدّ رجليك خارجاً عن كسائك. ويقال «الْحِكْمَةَ» ألا تستعصى على من تعلم أنك لا تقاومه [2] .

أقول: -والعلم عند الله تعالى - : إنّ هذه المعاني ومثيلاتها بعيدة كل البعد عن المعنى المراد، ولا تستقيم مع معنى الحكمة الإلهية التي خص الله بها من اختاره من خلقه .

الترجيح : في الحقيقة أن الأقوال الأربعة الأولى متقاربة المعنى، وليس بينه ا فرق كبير، وكلها صحيحة فهي من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد، إلا أن القول الأول هو مقدم عندي في الترجيح للسببين التاليين :

1ـ أنّه قول جمهور المفسرين. وفي الغالب قول الأكثر أقرب للصواب وأبعد عن الخطأ[3].

(١) ينظر : تفسير مجاهد (ص: 541)

(٢) لطائف الإشارات ، القشيري 3/ 130

(٣) ومن القواعد المقررة: ما ذكره ابن جزي في مقدمة تفسيره عند كلامه على الترجيح، فقال: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإنّ كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه "ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (1/ 19).

2ـ أنّ المعنى الأول لو تأملته لوجدته جامعاً للأقوال الثلاثة، فهو يشمل العلم وذلك في معنى الإصابة في الأمور فلا تكون إلا عن علم، وأما الفهم فهو في معنى الفقه؛ إذ الفقه في اللغة من معانيه الفهم [1].

المطلب الثاني : الوصية بالشكر في قوله تعالى : ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾ [لقمان: 12]

معنى الشكر لغةً :

قال الجوهري: اشْتَكَرَتِ السماءُ: اشتد وقعها. واشْتَكَرَ الضرعُ: امتلأَ لبناً، تقول منه: شَكِرَتِ الناقةُ بالكسر تَشْكَرُ شَكَراً، فهي شَكِرَةٌ [2].

وقال الأصفهاني: الشُّكْرُ: تصوّر النّعمة وإظهارها، قيل: وهو مقلوب عن الكشر، أي: الكشف، ويضادّه الكفر، وهو: نسيان النّعمة وسترها، ودابّة شكور: مظهرة بسمنها إسداء صاحبها إليها[3].

معنى الشكر اصطلاحاً :

وقد أحسن ابن القيم عند تعريفه للشكر، فقال: هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه: شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه: انقياداً

تنبيه : ليس شرطاً أن يكون أكثر القائلين بالقول أنه هو الراجح، وإنما هذا في الغالب.

(١) (الْفِقْه) الْفَهم والفطنة وَالْعلم ، ينظر : [المعجم الوسيط 2/ 698]

(٢) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 2/ 703

(٣) المفردات في غريب القرآن ص: 461

وطاعةً.

والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس: هي أساس الشكر، وبناؤه عليها. فمتى عدم منها واحدة: اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده، فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور [1].

وقريباً من قول ابن القيم ذكر الماوردي في تفسيره [2]

وقيل: الشُكْرُ: الثناء على المحسِن بما أَوْلاكَهُ من المعروف. يقال: شَكَرْتُهُ وشَكَرْتُ له، وباللام أفصح [3].

وأما أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ :

فقال الزجاج : وتأويل " أن اشكر للهِ " قُلنَا له: اشكر للهِ على ما آتاك [4].

ووافقه: السمرقندي [5] .

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين 2/ 234

(٢) قال الماوردي :وفي شكره أربعة أوجه: أحدها: هو حمده على نعمه. الثاني: هو ألا يعصيه على نعمه. الثالث: هو ألا يرى معه شريكاً في نعمه عليه. الرابع: هو طاعته فيما أمره. ينظر: النكت والعيون 4/ 332

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2/ 702)

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 4/ 195

(٥) تفسير السمرقندي = بحر العلوم 3/ 23

وقال القرطبي: والشكر لله: طاعته فيما أمر به [1].

وقد اختلف المفسرون وغيرهم هل الحمد والشكر بمعنى واحد أم بينهما فرق ؟

القول الأول : أن الحمد والشكر بمعنى واحد وليس بينهما فرق .

واختار هذا القول : ابن جرير الطبري، فقال: قال أبو جعفر: ولا تَمانُع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحُكْم، لقول القائل: "الحمد لله شكرًا" إذْ كان ذلك عند جميعهم صحيحًا أنّ الحمد لله قد يُنطق به في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضعَ الحمد [2] .

واختاره: الزجاج، وابن أبي حاتم [3] .

القول الثاني: أن الحمد والشكر ليسا بمعنى واحد .

واختاره: ابن عطية وقد استدرك على ابن جرير بالقول بأن الحمد والشكر بمعنى واحد، فقال: قال القاضي أبو محمد: وهذا أصح معنى من أنهما بمعنى واحد، واستدل الطبري على أنهما بمعنى بصحة قولك الحمد لله شكرا، وهو في الحقيقة دليل على خلاف ما ذهب إليه [4].

(١) تفسير القرطبي 14/ 62

(٢) جامع البيان 1/ 138

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/ 45 ، تفسير ابن أبي حاتم – محققا 11/ 8

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1/ 66

ووافقه ابن كثير فقال: "وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر[1] .

وقد فصل السمرقندي في هذه المسألة، فقال " ويكون في الحمد معنى الشكر وفيه معنى المدح وهو أعم من الشكر، لأن الحمد يوضع موضع الشكر، ولا يوضع الشكر موضع الحمد، وقال بعضهم: الشكر أعم، لأنه باللسان وبالجوارح وبالقلب، والحمد يكون باللسان خاصة. كما قال : ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: 13][2].

وقال الأزهري: وقال الأخفش: الحمد لله: الشُّكر لله، قال: والحمدُ أيضاً: الثناء، قلت: الشكرُ لا يكون إلا ثناء ليدٍ أوليتها، والحمدُ قد يكون شُكراً للصنيعة ويكون ابتداءً للثناء على الرَّجُل، فحمدُ الله الثناء عليه، ويكون شُكراً لنعمه التي شملت الكُل[3].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن ثم ت فرقاً بين الحمد والشكر، وهناك عموم وخصوص، فالحمد أعم من الشكر لأنه شكر وزيادة.

قال ابن منظور: الحمد والشكر متقاربان والحمد أَعمهما لأَنك تحمد الإِنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته ولأَنه أَعم منه فهو

(١) ينظر : تفسير ابن كثير 1/ 128

(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم 1/ 16]

(٣) تهذيب اللغة 4/ 251

شكر وزيادة[1] .

وقال ابن الأثير: والحمد رأس الشكر لأن فيه إظهار النعمة والإشادة بها، ولأنه أعم منه، فهو شكر وزيادة "[2] .

وقال القرطبي: قال علماؤنا: الحمد أعم من الشكر، لأن الحمد يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر، والجزاء مخصوص إنما يكون مكافأة لمن أولاك معروفا، فصار الحمد أعم في الآية لأنه يزيد على الشكر[3].

معنى قوله تعالى :﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ [لقمان: 12].

قال السمرقندي: وَمَنْ يشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ يعني: ثواب الشكر لنفسه[4].

ووافقه: ابن الجوزي[5]. قال السمعاني: أَي: مَنْفَعَة الشُّكْر تعود إِلَيْهِ[6].

ووافقه: القرطبي، و ابن كثير، والمراغي[7]. وبنحوه قال أبو السعود[8].

(١) لسان العرب 3/ 156

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر 1/ 437

(٣) تفسير القرطبي 1/ 134

(٤) تفسير السمرقندي = بحر العلوم 3/ 23

(٥) زاد المسير في علم التفسير 3/ 431]

(٦) تفسير السمعاني 4/ 230

(٧) ينظر : تفسير القرطبي 14/ 62 ، وتفسير ابن كثير 6/ 335]، و تفسير المراغي 21/ 79]

(٨) إرشاد العقل السليم 7/ 71

وفيه تنبيه على أن شكر المعبود الحق رأس كل العبادة وسنام الحكمة وفائدته ترجع إلى العبد لا إلى المعبود فإنه غني عن شكر الشاكرين مستحق للحمد وإن لم يكن على وجه الأرض حامد [1].

وَقَوله سبحانه : ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

أي: ومن كفر نعمة الله عليه إلى نفسه أساء؛ لأن الله معاقبه على كفرانه إياه، والله غنيّ عن شكره إياه على نعمه، لا حاجة به إليه، لأن شكره إياه لا يزيد في سلطانه، ولا ينقص كفرانه إياه من ملكه. ويعني بقوله: ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على كلّ حال، له الحمد على نعمه، كفر العبد نعمته أو شكره عليها، وهو مصروف من مفعول إلى فعيل [2].

قال السمعاني أَي: غَنِي عَن خلقه، مَحْمُود فِي فعله [3].

ونقل القرطبي عن يحيى بن سلام مثله [4] .

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ وجهان: أحدهما: يعني كفر بالله واليوم الآخر، قاله مجاهد. الثاني: كُفْرُ النعمة ، قاله يحيى بن سلام، **ووافقه** : العز بن عبد

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان 5/ 424]

(٢) . [تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر 20/ 136]

(٣) [تفسير السمعاني 4/ 230]

(٤) [تفسير القرطبي 14/ 62]

السلام[1].

قال الزمخشري: غَنِيٌّ غير محتاج إلى الشكر حَمِيدٌ حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد[2].

وبنحوه قال الرازي[3].

وقال سبحانه : ومن كفر ، ولم يقل ومن لم يشكر ، للعموم .

قال الثعلبي: ومعنى قوله تعالى: غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ: الوعيدُ لِمَنْ كفر، والقَصْدُ بالكلامِ: فَإِنَّ اللهَ غنيٌّ عنهم، ولكن عمَّم اللفظ ليَبْرَعَ المعنى، وتنتبه الفِكَرُ لقدرته سبحانه، وعظيم سلطانه، واستغنائه عن جميعِ خَلْقِهِ لا ربّ سواه[4].

المطلب الثالث: الوصية بالتحذير من الإشراك بالله تعالى .

---

(١) ينظر : النكت والعيون 4/ 333، وتفسير العز بن عبد السلام 2/ 538

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 3/ 493

(٣) مفاتيح الغيب 25/ 119

(٤)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 2/ 81 .

تنبيه : ذكر الثعلبي هذا الكلام في سياق كلامه عن تفسير قوله تعالى(ولله على الناس حج ...)) لكن رأيت أنّه الأمر نفسه هنا أو هناك ، ففي الآية الأولى لم يقل ومن لم يحج لإرادة العموم بأن كل من كفر فالله غني عنه ، وهنا كذلك من لم يعترف بنعمة الله وأنكرها وكفر به فالله غني عنه ، إذ الكفر ضد الشكر كما قال ابن عاشور ،وزيد ذلك تبياناً بعطف ضده بقوله ومن كفر فإن الله غني حميد لإفادة أن الإعراض عن الشكر بعد استشعاره كفر للنعمة وأن الله غني عن شكره . [التحرير والتنوير 21/ 152] . هذا ما ظهر لي ، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [**لقمان**: 13] ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾: الوعظ: التخويف، قالَ الْخَلِيلُ: هُوَ التَّذْكِيرُ بِالْخَيْرِ وَمَا يَرِقُّ لَهُ قَلْبُهُ[2].

﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾: تَصْغِير إِشْفَاق[3]. وفيها ثلاث قراءات[4]:

الأولى: بفتح الياء: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ وهي قراءة حفص عن عاصم .

الثانية: وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ وَإِسْكَانِهَا. **الثالثة**: قرأ الباقون بكسر الياء.

قال ابن عاشور: والتصغير فيه لتنزيل المخاطب الكبير منزلة الصغير كناية عن الشفقة به والتحبب له، وهو في مقام الموعظة والنصيحة إيماء وكناية عن إمحاض النصح وحب الخير، ففيه حث على الامتثال للموعظة[5]

وَعَلِيهِ أَنْشد ثَعْلَب:

(١) مجمل اللغة لابن فارس (ص: 931)

(٢) مقاييس اللغة (6/ 126)

(٣) تفسير الجلالين (ص: 541)

(٤) ينظر : النشر في القراءات العشر (2/ 289) ، الإقناع في القراءات السبع ، لابن باذش (ص: 362) ، الوافي في شرح الشاطبية (ص: 290) .

(٥) التحرير والتنوير (21/ 155)

وَلَكِنْ إِذَا مَا حُبَّ شَيْءٌ تَوَلَّعَتْ بِهِ أَحْرُفُ التَّصْغِيرِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ[1].

قوله سبحانه: ﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ والشرك: أن يجعل لله شريكاً في ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد، وإنما دخلت التاء في قوله: ﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾، لأن معناه لا تعدل به غيره فتجعله شريكا له[2].

وهذه أول وصايا لقمان لابنه، وهو عدم الإشراك بالله تعالى، لأنه سبيل الويلات ولسوء عواقبه الوخيمة، وغضب الله تعالى، وأن مصير من أشرك بالله تعالى النار وبئس المصير .

قال ابن عاشور: ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادئ الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل[3].

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

---

(١) ينظر : درة الغواص في أوهام الخواص (ص: 17)

قال: الحريري (ت 516هـ) أَرَادَ أَن التصغير قد يَقع من فرط الْمحبَّة ولطف الْمنزلَة كَمَا يُقَال: يَا بنيّ وَيَا أخي. وَقَوله: إِذا مَا حب شَيْء يَعْنِي بِهِ أحب لِأَنَّهُ يُقَال: أحب الشَّيْء وحبه بِمَعْنى، كَمَا جَاءَ فِي الْمثل السائر: من حب طب .درة الغواص في أوهام الخواص (ص: 16)

(٢) لسان العرب (10/ 449)

(٣) التحرير والتنوير (21/ 155)

الشرك من أعظم الظلم، فأعظم ما أمر الله به هو التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك، ولو قال قائل: لماذا كان الشرك ظلماً، ولماذا وصف بأنه عظيم؟ قيل: لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا وهي منه ومن لا نعمة له أصلاً[1].

قال الرازي : أو لأنه وضع العبادة في غير موضعها؛ وهي غير وجه الله وسبيله، وأما أنه عظيم فلأنه وضع في موضع ليس موضعه، ولا يجوز أن يكون موضعه، وهذا لأن من يأخذ مال زيد ويعطي عمرا يكون ظلما من حيث إنه وضع مال زيد في يد عمرو، ولكن جائز أن يكون ذلك ملك عمرو أو يصير ملكه ببيع سابق أو بتمليك لاحق، وأما الإشراك فوضع المعبودية في غير الله تعالى ولا يجوز أن يكون غيره معبودا أصلا[2].

واختلف بعض المفسرين في قوله سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ هل هو من كلام لقمان، أم هو خبر من الله تعالى؟ على قولين :

القول الأول : أنّه من كلام لقمان .

واختاره : ابن عطية ، وأبو حيان ، وابن عاشور[3].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (2/ 714)

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (25/ 120)

(٣) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 348) البحر المحيط في التفسير (8/ 413) ، التحرير والتنوير (21/ 155)

قال ابن عطية : وظاهر قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أنه من كلام لقمان [1].

وقال ابن عاشور : وهذا من جملة كلام لقمان كما هو ظاهر السياق [2].

واستدلوا بحديث عَبْدِ اللهِّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِّ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِّ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [3].

القول الثاني : خبر من الله تعالى .

واختاره: القرطبي، وقال: وقيل: هو خبر من الله تعالى منقطعا من كلام لقمان متصلا به في تأكيد المعنى ويؤيد هذا الحديث المأثور [4].

ووافقه: الشوكاني [5].

واستدلوا على هذا القول بالحديث السابق نفسه .

قال ابن عطية : قال الفقيه الإمام القاضي: وإنما يسكن إشفاقهم بأن يكون

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 348)

(٢) التحرير والتنوير (21/ 155)

(٣) صحيح البخاري (4/ 163) ، باب قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ) ، رقم الحديث : 3429 .

(٤) تفسير القرطبي (14/ 62)

(٥) ينظر : تفسير القرطبي (14/ 62) ، فتح القدير للشوكاني (4/ 273)

ذلك خبرا من الله تعالى، وقد يسكن الإشفاق بأن يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد.

الترجيح : والخلاف في هذا ليس له كبير أثر، والذي يظهر لي – والعلم عند الله تعالى – أنه من كلام لقمان عليه السلام ، لتصريح حديث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، والله أعلم

المطلب الرابع: الوصية ببر الوالدين وطاعتهما

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: 14 – 16]

اختلف المفسرون في هذه الوصية هل هي من وصايا لقمان لابنه، أم هو خبر من الله مستأنف معترض ؟

القول الأول: ذهب الطبري إلى أن الآيتين خبر من الله مستأنف معترض في الوصية، وهي وصية من الله لعباده وهي في المعنى كذلك من جملة وصايا الله لقمانَ لابنه فكان معنى الكلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: 13] ، ولا تطع في الشرك به

والديك[1]. ووافقه الزمخشري، والشوكاني[2].

وذهب ابن عطية أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص [3].

ووافقه القرطبي[4].

القول الثاني : ذهب ابن عاشور إلى أن هذا ليس كلاماً معترضاً إذ هو مما أبلغه لقمان لابنه وهو مما أوتيه من الوحي – على أن لقمان نبي– قال: وهذا الاحتمال أنسب بسياق الكلام[5]

الترجيح :

يظهر لي – والعلم عند الله – أن الوصية ليست من وصايا لقمان لابنه، بل خبر من الله معترض في الوصية، وهو ما ذهب إليه الطبري وغيره كما سبق، وسبب ترجيحي لهذا القول هو ما ورد في سبب نزولها عن مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا

(١)تفسير الطبري (20/ 139).

(٢)تفسير الزمخشري (3/ 494)، وفتح القدير للشوكاني (4/ 274).

(٣)تفسير ابن عطية (4/ 348).

(٤)تفسير القرطبي (14/ 63) .

(٥)التحرير والتنوير (21/ 156)

حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى ﴾ وَفِيهَا {﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾ [لقمان: 15][1].

وقد ذكر سبب النزول السابق عدد من المفسرين، منهم: ابن جرير الطبري، وابن عطية، والقرطبي، والبغوي، وابن كثير، والألوسي وغيرهم[2] .

فهذا القول يؤيده سبب نزول الآية، وهو مقدم على غيره من الأقوال

وقد نص غير واحد من العلماء على هذه القاعدة الترجيحية،فهذا أبوجعفر النحاس يقرر هذه القاعدة فيقول في معرض كلامه على تفسيره لقوله تعالى﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [الأعراف: 199]" وهذا أولى ما قيل في الآية لصحة إسناده وأنه عن صحابي يخبر بنزول الآية وإذا جاء الشيء هذا المجيء لم يسع أحدا مخالفته "

(١) ينظر: صحيح مسلم (4/ 1877)، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، بَابٌ فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم الحديث (1748) .

(٢) ينظر: تفسير الطبري (20/ 138)، وتفسير القرطبي (14/ 65)، وتفسير البغوي (6/ 234) ، تفسير ابن كثير (6/ 337) ،وروح المعاني (10/ 344).

والمعنى عليه ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ [الأعراف: 199] أي السهل من أخلاق الناس ولا تغلظ عليهم ولا تعنف بهم"[1].

ولكن مع ترجيحي لهذا القول في أنها نزلت في سعد رضي الله عنه إلا أنها تعتبر في حكم وصايا لقمان، ولأنها وردت في ثنايا وصاياه لابنه، فلها حكم ذلك في بحثي هذا من حيث الدراسة والتفسير التحليلي .

قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ﴾

قال ابن منظور: أوصى الرجل ووصاه عهد إليه، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ [النساء: 11]

معناه: يفرض عليكم؛ لأن الوصية من الله إنما هي فرض والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ ﴾ [الأنعام: 151]. وهذا من الفرض المحكم علينا.[2]

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: وأمرنا الإنسان ببرّ والديه.[3]

فالوصية من الله على هذا: تدور على الفرض والأمر والعهد.

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: 449).

(٢)لسان العرب (15 / 394)

(٣)تفسير الطبري (20/ 136)

وقوله تعالى: ﴿ بِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ قرن بوصيته إياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: 23] وكثيراً ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن.(١)

والبر بالوالدين: وهو في حقهما وحق الأقربين من الأهل ضد العقوق وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم (٢).

قال النووي : " قال العلماء البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة " (٣) .

وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٍ ﴾

معنى:﴿ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٍ ﴾: شدّة بعد شدّة. وقيل: ضعفا على ضعف. حكاهما الطبري(٤).

وقيل: جهدا على جهد.ومشقّة على مشقّة. حكى جميع هذه المعاني الثعالبي.(٥)

ولا تعارض بين هذه المعاني إذ هي من اختلاف التنوع لا التضاد.

---

(١)تفسير ابن كثير (6/ 336)

(٢) لسان العرب (4/ 54)

(٣) شرح النووي على مسلم (16/ 111)

(٤)تفسير الطبري (20/ 137)

(٥)الكشف والبيان (7/ 313)

واختلف في الوهن هنا ما هو ؟ قيل: عنى به الحمل، وقال آخرون: بل عنى به وهن الولد وضعفه على ضعف الأمّ[1].

قال ابن عاشور: وانتصب وهنا على الحال من أمه: مبالغة في ضعفها حتى كأنها نفس الوهن، أي واهنة في حمله، وعلى وهن صفة لـ (وهنا) أي وهنا واقعا على وهن[2].

ولما كان للأم المنزلة العالية والسبق في المرتبة: خصها الله تعالى بالذكر وجعل لها من البر وأحقية الصحبة ما ليس لغيرها.

ولما خص تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث مراتب، وللأب واحدة، وأشبه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»[3] [1].

(١) انظر تفسير الطبري (20/ 137)، وتفسير ابن أبي زمنين (3/ 374)، وزاد المسير (3/ 431).

(٢)التحرير والتنوير (21/ 157).

(٣) ينظر: صحيح البخاري (8/ 2)، كتاب الأدب، بَابٌ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ رقم الحديث : 5971.

قوله تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾

والمقصود من الفصال: الفطام، فعبر بغايته ونهايته، ويقال: انفصل عن كذا أي تميز، وبه سمي الفصيل.(٢)

وأردف عز وجل بذكر ميزة أخرى للأم بعد ذكر الحمل وهو: الفصال وكلاهما اعتراض مؤكد للتوصية في حقها – أي الأم- خصوصاً(٣) .

قال ابن كثير: وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلا ونهارا، ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه، كما قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: 24](٤)

وقد استدل العلماء بهذه الآية وبقوله تعالى : ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15] على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر.

قال الجصاص في أحكامه: فحصل بمجموع الآيتين أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وبه استدل ابن عباس على مدة أقل الحمل واتفق أهل العلم عليه.(٥) .

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (14/ 64)

(٢) انظر: معانى القرآن للأخفش (2/ 477) تفسير القرطبي (14/ 64).

(٣)أنوار التنزيل وأسرار التأويل (4/ 214).

(٤)تفسير ابن كثير ت سلامة (6/ 336).

(٥)أحكام القرآن للجصاص 3/ 458)

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾

قال الزجاج: موضع " أَنْ " نصب بـ(وَصَّيْنَا) .والمعنى وصَينا الإنسان أنْ اشْكُره لي ولوالديك، أيْ وصيناه بشكرنا وبشكر والديه.(١)

وقد نقل جمع من المفسرين هنا في هذه الآية قول سفيان بن عيينة في قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ حيث قال: من صلّى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات فقد شكر للوالدين(٢).

ولا يكتفي في الشكر بمجرد الثناء والدعاء كما تقدم تقريره آنفا في معنى الشكر ولهذا لما أوجب الله شكر نفسه وشكر الوالدين، وحصل الإجماع على أن شكر الوالدين بدوام طاعتهما، وألا يكتفى فيه بمجرد النطق بالثناء عليهما علم أنّ شكر الحقّ لا يكفي فيه مجرّد القول ما لم تكن فيه موافقه العقل وذلك بالتزام الطاعة، واستعمال النعمة في وجه الطاعة دون صرفها في الزّلّة فشكر الحقّ بالتعظيم والتكبير، وشكر الوالدين بالإنفاق والتوفير.(٣)

وقوله تعالى: ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾

(١)معاني القرآن وإعرابه للزجاج (4/ 196)

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (7/ 313) وتفسير السمعاني (4/ 230) و لباب التأويل في معاني التنزيل (3/ 398)

(٣)لطائف الإشارات (3/ 131).

قال ابن جرير: إلى الله مصيرك أيها الإنسان، وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك، وعما كان من شكرك لوالديك، وبرّك بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفوليتك وصباك، وما اصطنعا إليك في برّهما بك، وتحننهما عليك.(١)

وقد أحسن الألوسي -ووافقه القاسمي والمراغي-إذ أشار إلى أن هذه الجملة ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ بمثابة التعليل لوجوب امتثال الشكر فقال: وقوله تعالى: ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾: تعليل لوجوب الامتثال. أي إليّ الرجوع، لا إلى غيري، فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر.(٢)

قوله سبحانه : ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾: أي: حرصا على متابعتك لهما في الكفر(٣).

واختلف أهل التفسير في نفي العلم بقوله: ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ ما المراد به؟

القول الأول: ذهب بعضهم إلى أن النفي هنا المراد به نفي استحقاقه الإشراك أو بشركته له تعالى في استحقاق العبادة.

القول الثاني: أن المراد بنفي العلم نفي ما يشرك؛ أي: لا تشرك بي ما ليس

(١)تفسير ابن كثير (6/ 336) فتح القدير (4/ 274)

(٢)روح المعاني (11/ 84) ومحاسن التأويل (8/ 28) وتفسير المراغي (21/ 83).

(٣) تفسير المراغي (21/ 80)

بشيء يريد عزّ وجلّ الأصنام والأوثان كقوله سبحانه: ﴿مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾[1].

ورجح الألوسي أنه شيء؛ فأدخل في سلك المجهول مطلقاً، وليس من قبيل نفي العلم لنفي وجوده، وهذا تقرير حسن وفيه مبالغة عظيمة منه يظهر ترجيح هذا المسلك في هذا المقام على أسلوب:ولا ترى الضب بها ينجحر[2].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾قوله: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ أي: لا تطعهما في الشرك.قاله السمرقندي والسمعاني[3].

وقوله سبحانه: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: قال الزجاج: صَاحَبْته مُصَاحَباً وَمُصاحَبَةً. والمعنى: عاشرهما[4].

وقوله جل وعلا: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ إشارة إلى تهوين أمر الصحبة، لأنها في أيام قلائل وشيكة الانقضاء، فلا يصعب تحمل مشقتها[5].

---

(١) ينظر: الكشاف (3/ 494)

(٢) ينظر: روح المعاني (11/ 86) والبحر المديد (4/ 369) وفتح القدير للشوكاني (4/ 274) وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (4/ 214).

(٣) ينظر: بحر العلوم (2/ 626)، تفسير السمعاني (4/ 231)

(٤)معاني القرآن وإعرابه (4/ 196)

(٥)المصدر السابق نفسه.

وقوله:﴿ مَعْرُوفًا ﴾: معنى المعروف: ما يستحسن من الأفعال. يعني: عاشرهما في الدنيا معروفاً بالإحسان، وإنما سمي الإحسان معروفاً لأنه يعرفه كل واحد[1].

فائدة لغوية في انتصاب ﴿ مَعْرُوفًا ﴾:

قال أبو حيان: انتصب (معروفاً) على أنه صفة لمصدر محذوف، أي صحابا، أو مصاحبا معروفا وعشرة جميلة، وهو إطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما[2].

وقوله سبحانه : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾: أَيْ ارجع إلى الله، وهو سبيل الرسول لَا سَبِيلُهُمَا [3].﴿ أَنَابَ ﴾ معناه مال ورجع إلى الشيء، وهذه سبيل الأنبياء والصالحين[4].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾: أَيْ مرجعك ومرجعهما، فأجازي كلا منكم بعمله[5].

---

(١)تفسير البغوي (3/ 588) والكشاف (3/ 442) والبحر المحيط (8/ 343) وروح البيان (7/ 79). و محاسن التأويل (8/ 29).تفسير المراغي (21/ 84)

(٢)البحر المحيط (8/ 414)

(٣)المصدر السابق نفسه.

(٤)تفسير ابن عطية (4/ 349).

(٥)البحر المحيط (8/ 414)

وجملة هذا الباب : أن طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما في المباحات، ويستحسن في ترك الطاعات الندب، ومنه أمر الجهاد الكفاية، والإجابة للام في الصلاة مع إمكان الإعادة.(١)

المطلب الخامس : اتساع علم الله سبحانه وتعالى ، وإحاطته بكل شيء

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ **[لقمان: 16]**

قوله مرة أخرى هنا: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ تكرير للنداء، وفيه تجديد نشاط السامع لوعي الكلام(٢).

واختلف أهل العربية في معنى الهاء والألف اللتين في قوله: (إنَّها) فقال بعض نحويي البصرة: ذلك كناية عن المعصية والخطيئة، ومعنى الكلام عنده: يا بنيّ، إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل، أو إن الخطيئة. وقال بعض نحويي الكوفة: وهذه الهاء عماد. وقال: أنَّث تك، لأنه يراد بها الحبة، فذهب بالتأنيث إليها، كما قال الشاعر:

(١) انظر تفسير القرطبي (14/ 66) ولطائف الإشارات (3/ 131) و بحر العلوم (3/ 24).

(٢)التحرير والتنوير (21/ 162)

وَتَشْرَقُ بالقَوْلِ الَّذِي قَدْ أذَعْتَهُ ... كمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ مِنَ الدَّمِ[1].[2]

وقرئ: ﴿مِثْقَالَ﴾ **بالرفع والنصب،** فمن نصب – وهو الجمهور – فاسم كان مضمر على تقدير إن تكن التي سألت مثقال حبة من خردل، ومن رفع مع تأنيث تكن وهي قراءة – نافع وأبي جعفر– فلأن مثقال حبة من خردل راجع إلى معنى خردله، فهو بمنزلة إن تكن حبة من خردل، (وتك) ههنا بمعنى يقع، ولا خبر له.[3]

ومعنى قوله تعالى: ﴿خَرْدَلٍ﴾: نبات له حب صغير جدا أسود مقرّح الواحدة خردلة ويقال خردل الطعام أكل خياره وخردل اللحم قطع أعضاءه وافرة صغارا، ولحم خراديل: مقطع ومفرد ويضرب بها المثل في الضآلة.[4]

وَقوله: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ أَي: فِي جبل.[5]

وههنا سؤال: لماذا عطف قوله: أو في السماوات أو في الأرض على قوله في

(١)البيت الشعري للأعشى، ينظر:الكامل في اللغة والأدب (2/ 105)

(٢) ينظر: تفسير الطبري (20/ 140)

(٣)التفسير الوسيط للواحدي (3/ 443) تفسير الطبري (20/ 140) تحبير التيسير في القراءات العشر (1 / 466).

(٤) إعراب القرآن وبيانه (7/ 539).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (4/ 232) وتفسير البغوي (3/ 588).

صخرة؟

لأن الصخرة من أجزاء الأرض فذكر بعدها أو في السماوات على معنى: أو كانت في أعز منالا من الصخرة، وعطف عليه أو في الأرض وإنما الصخرة جزء من الأرض لقصد تعميم الأمكنة الأرضية فإن الظرفية تصدق بهما.(١)

وشواهد أدلة سعة علم الله وإحاطته بكل شيء كثيرة لا تحصى، منها :

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النمل: 65]

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد 9]

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ الْآيَةَ [آل عمران 179]

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ [هود 123]

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام59]

(١)التحرير والتنوير (21/ 163).

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ {[يونس 61].

المطلب السادس : الوصية بإقام الصلاة

قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان: 17]

لقد حث الشرع المطهر على إقامة الصلاة واهتم بها اهتماما بالغا، كيف لا وهي الركن الثاني من أركان الإسلام، وقد وردت الأحاديث الكثيرة بفضلها، وبيان منزلتها، فمن ذلكم ما روي عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ " قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا»(١) .

وفي هذه الآية الكريمة انتقل لقمان من تعليم ابنه أصول العقيدة إلى تعليمه أصول الأعمال الصالحة فابتدأها بإقامة الصلاة.

والصلاة: التوجه إلى الله بالخضوع والتسبيح والدعاء في أوقات معينة في الشريعة التي يدين بها لقمان، وهي: عماد الأعمال لاشتمالها على الاعتراف

(١) ينظر: صحيح البخاري (1/ 112)، كتاب مواقيت الصلاة، بَابٌ: الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ كَفَّارَةٌ، رقم الحديث:(528).

بطاعة الله وطلب الاهتداء للعمل الصالح. وإقامة الصلاة: إدامتها والمحافظة على أدائها في أوقاتها [1]. والصلاة، هي: رأس العبادات في كل شريعة، وه ي عمود الدين، في كل دين ولهذا: كان مقامها هنا هو المقام الأول[2].

المطلب السابع : الوصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال تعالى:﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [لقمان:17].

قال ابن منظور : في تعريف المعروف : وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع [3].

والمنكر:وهو ضد المعروف، وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه،فهو منكر [4].

وإن معنى الأمر بالمعروف الدعوة إليه والترغيب فيه وتمهيد أسبابه حتى تتوطد أركانه وتتطرق سبله ويعم الخير به. ومعنى النهي عن المنكر: الصد عنه والتنفير منه ومقاومته وأخذ السبل عليه حتى لا يقع أصلا، أو يتكرر.[5].

ويشترط لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشروط التالية:

(١)التحرير والتنوير (21/ 164)

(٢)التفسير القرآني للقرآن (11/ 571).

(٣) لسان العرب (9/ 240)

(٤) المصدر السابق (5/ 233)

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء كتاب الله ، سليمان الحقيل (ص7)

(الإسلام، و التكليف، والاستطاعة)

ويشترط في الفعل الذي يجب إنكاره:

1 – أن يكون منكراً سواء أكان صغيرة أم كبيرة.

2 – أن يكون المنكر موجودًا، فمن فرغ من شرب الخمر مثلًا لم يكن لآحاد الناس الإنكار عليه إلا بالوعظ إذا صَحَّ من سكره.

3 – وأن يكون المنكر ظاهرًا بغير تجسس، فمن ستر معاصيه في داره وأغلق عليه بابه، فإنه لا يجوز لأحد أن يتجسس عليه ما لم يظهر شيء من ذلك.

4 – أن يكون المنكر معلومًا بغير اجتهاد، فينكر على من خالف نصًّا أو إجماعًا أو قياسًا جليًا، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه. (١) **قال الآمدي :** " فإنه ما من أمة إلا وقد أمرت بالمعروف كاتباع أنبيائهم وشرائعهم، ونهت عن المنكر كنهيهم عن الإلحاد وتكذيب أنبيائهم. " (٢). و **قال الغزالي :** " ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد " (٣) .

---

(١) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص: 52)

(٢) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (1/ 215)

(٣) إحياء علوم الدين (2/ 306)

المطلب الثامن : **الوصية بالصبر على أقدار الله تعالى.**

قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾التفات إلى هذا الزاد الطيب الذي يتزود به الإنسان في الحياة، ويستعين به على الائتمار بالمعروف والانتهاء عن المنكر، وذلك الزاد، هو الصبر؛ فإنه إذا قل حظ الإنسان من الصبر، فلن يجد العزم الذي يمضي به التكاليف ويقضي به الحقوق(١).

الصَّبْرُ: الإمساك في ضيق، يقال: صَبَرْتُ الدّابّة: حبستها بلا علف (٢).

وقال ابن القيم في تعريف الصبر : " أصل هذه الكلمة هو المنع والحبس فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما " (٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾

الإشارة بقوله: إن ذلك: إلى الطاعات المذكورة، وخبر إن: قوله: من عزم الأمور أي: مما جعله الله عزيمة، وأوجبه على عباده.

وقيل المعنى: من حق الأمور التي أمر الله بها. والعزم: يجوز أن يكون بمعنى المعزوم، أي: من معزومات الأمور، أو بمعنى العازم كقوله: فإذا عزم الأمر، قال المبرد: إن

(١)المصدر السابق نفسه.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: 474)

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 15)

العين تبدل حاء. فيقال عزم وحزم.قال المعنيين الشوكاني.[1]

ونقل القرطبي عن ابن جريج وصوبه أنه قال: إن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور، أي مما عزمه الله وأمر به.[2]

والعزم مصدر بمعنى: الجزم والإلزام. والعزيمة: الإرادة التي لا تردد فيها. وعزم مصدر بمعنى المفعول، أي من معزوم الأمور، أي التي عزمها الله وأوجبها.[3]

المطلب التاسع : الوصية بالتواضع مع الناس ، والبعد عن الكبر .

قال تعالى﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان: 18]

قال ابن منظور: الَّصعَر: مَيَلٌ فِي الوَجْهِ، وَقِيلَ: هو ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين. وقيل: هو داء يأخذ البعير فيلوي منه عنقه ويميله.[4]

قال الزمخشري: وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ: أقبل على الناس بوجهك تواضعا، ولا تولهم

(١) فتح القدير (4/ 275).

(٢) تفسير القرطبي (14/ 69).

(٣) ينظر : تفسيرالسمعاني(4/ 232) ، والبحر المحيط (8/ 415) ، وتفسير البغوي (3/ 588) ، وأضواء البيان (4/ 160) ، التحرير والتنوير(21/ 162) ، وفتح القدير (4/ 272).

(٤)لسان العرب (4/ 456).

شق وجهك وصفحته، كما يفعل المتكبرون. [1].

وذكر مُجَاهِدٌ معنى آخر وهو يدخل تحت لفظ هذه الآية فقال: أراد به الإعراض، كهجره بسب أخيه.[2]

واختلف القراء فِي: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ ﴾ فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَيَعْقُوبُ بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِهَا وَأَلِفٍ قَبْلَهَا هكذا(تُصاعِر)[3].

قال الفراء: هما لغتان، ومعناهما الإعراض من الكِبْر[4].

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ ﴾ أي: لا تمش متبخترا مختالا، وكذا قال السمرقندي: لا تمش بالخيلاء، والمرح والبطر والأشر كله واحد، وهو أن يعظم نفسه في النعم.

قال الزمخشري : " وَلا تَمْشِ تمرح مَرَحاً أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحاً. ويجوز أن يريد: ولا تمش لأجل المرح والأشر، أ ي لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشر كما يمشي كثير من الناس لذلك، لا لكفاية مهم دين ي أو دنيو ي. ونحوه قوله

(١)تفسير الزمخشري (3/ 497).

(٢)البحر المحيط في التفسير (8/ 416)

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (2/ 346).

(٤)زاد المسير (3/ 432)

تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ "[الأنفال:47]. (1)

وقوله جل شأنه : ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ يعني: مختالاً في مشيته، فخوراً في نعم الله عز وجل.(2)

المطلب العاشر : الوصية بالتأدب في المشي والكلام .

قال تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: 19]

قوله تعالى : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾: القَصْدُ: استقامة الطريق، يقال: قَصَدْتُ قَصْدَهُ، أي: نحوت نحوه، ومنه: الِاقْتِصَادُ، والِاقْتِصَادُ على ضربين: **أحدهما** : حمود على الإطلاق، وذلك فيما له طرفان: إفراط وتفريط كالجود، فإنه بين الإسراف والبخل، وكالشّجاعة فإنّها بين التّهوّر والجبن، ونحو ذلك، وعلى هذا قوله: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾[لقمان: 19].

والثاني: يكنّى به عمّا يتردّد بين المحمود والمذموم، وهو فيما يقع بين محمود ومذموم، كالواقع بين العدل والجور، والقريب والبعيد، وعلى ذلك قوله: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ [فاطر32].(3)

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 497)

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (4/ 198) وتفسير السمرقندي (3/ 26).

(٣)المفردات (ص: 672).

وقوله تعالى﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾:

قال الزجاج: معنى اغضض انقص، ومن ذلك غضضت بصري، وفلان يغض بصره من فلان أي يتنقصه[1]، وقال الراغب: الغض النقصان من الطرف والصوت[2].

قال الجصاص: فيه أمر بخفض الصوت لأنه أقرب إلى التواضع وكذا أشار إلى هذا المراد القرطبي.[3]

لقد أوصانا ديننا الحنيف بالأدب في الصوت وفي الحديث بالصوت المريح الهادئ ونهانا عن الصوت المرتفع.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾ [الحجرات: 2، 3]

وقوله تعالى:﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾

أورد القرطبي في تفسيره علة لهذا التعقيب الذي عقب الله به سبحانه بعد النهي عن رفع الصوت وهو التشبيه بهذا الحيوان الذي تنفر منه الطباع وتستقبح النفوس أن تنسب إليه بأي حال فقال: كانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك،

(١)معاني القرآن وإعرابه (4/ 199).

(٢)المفردات (ص: 607).

(٣)أحكام القرآن (5 / 220) تفسير القرطبي (14/ 72)

فمن كان منهم أشد صوتا كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل، فجيء بالحمار حينئذ مثلا في الذم البليغ والشتيمة، وكانت العرب تستفحش ذكره مجردا فقد كانوا يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون: الطويل الأذنين، وقد عد في مس اوئ الآداب أن يجري ذكر الحمار في المجالس.(١).

فحينئذ جاءت الآية بالنهي عن مشابهته للاستقباح المستقر في نفوسهم وليكون أبلغ في النفرة عنه.

المبحث الثالث

المعنى الإجمالي وهدايات الآيات

المطلب الأول: المعنى الإجمالي للآيات

أولاً ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: 12]

المعنى الإجمالي للآية: لما أعطى الله لقمان هذه المنة العظيمة، أمره أن يشكره على ما أعطاه ، ليبارك له فيه، وليزيده من فضله، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ لأن منفعته التي ه ي دوام النعمة واستحقاق مزيدها عائدة إليها مقصورة عليها، والشكر من صفة الحق تعالى فإن الله شاكر عليم فمن شكر فإنما يشكر لنفسه، وَمَنْ كَفَرَ نعمة

(١)تفسير القرطبي باختصار (14/ 71).

ربه فعليه وبال كفره، والله غني عنه حميد فيما يقدره ويقضيه، على من خالف أمره، فغناه تعالى من لوازم ذاته، وكونه حميداً في صفات كماله، حميداً في جميل صنعه من لوازم ذاته، وكل واحد من الوصفين، صفة كمال، واجتماع أحدهما إلى الآخر، زيادة كمال إلى كمال[1].

ثانياً ـ قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ **[لقمان: 14]**

المعنى الإجمالي للآية: تخلل بين وصايا لقمان وأثناء وعظه اعتراض بآيتين، موجهتين من الله تعالى، مفاد الآية الأولى: أنا أمرنا الإنسان وألزمناه ببر والديه وطاعتهما وأداء حقوقهما، ولا سيما أمه، فإنها حملته في ضعف على ضعف، من الحمل إلى الطلق، إلى الولادة والنفاس، ثم الرضاع والفطام في مدة عامين، ثم تربيته ليلا ونهارا حتى صار كبيرا، وأمرناه بشكر الله على نعمته، وبشكر والديه، لأنهما سبب وجوده، ومصدر الإحسان إليه بعد الله تعالى.[2]

ثالثاً ـ قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

(١) ينظر : محاسن التأويل (: 8/ 27) ، روح البيان ، لإسماعيل حقي : (7/ 75) ، التحرير والتنوير :(21/ 152) ، في ظلال القرآن (5/ 2787) ، تيسير الكريم الرحمن للسعدي : (ص: 648) .

(٢) انظر تفسير الطبري (20/ 136) وتفسير السمرقندي (3/ 23) والكشف والبيان (7/ 313) وتفسير القرطبي(14/ 63) وتفسير ابن كثير (3/ 361) وفتح القدير(4/ 272) والتفسير الوسيط (3/ 2025)

وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ } [لقمان: 15]

المعنى الإجمالي للآية: أي: وإن ألح عليك والداك فى الطلب، وشدّ النكير عليك، بأن تشرك بي ، فلا تطعهما فيما أمراك به، وإن أدى الأمر إلى أن جاهداك به ، وصاحبهما في أمور الدنيا صحبة يرتضيها الدين، ويقتضيها الكرم والمروءة، بإطعامهما وكسوتهما، وعدم جفائهما وعيادتهما إذا مرضا، ومواراتهما في القبر إذا ماتا ، وأما اتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصي، فلا تتبعهما[1].

رابعاً ـ قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان: 16]

المعنى الإجمالي للآية: يكشف لقمان لابنه عن علم الله فهو سبحانه، الذي يستحق أن يعبد، وأن يفرد بالعبادة، فهو العالم بكل صغيرة وكبيرة فيه. حتى الحبة من الخردل، هذه الحبة، إن تكن في أي صخرة من صخور الأرض، أو تكن في السموات التي لا حدود لها، أو تكن في الأرض، على أي عمق منهايأتِ بها الله، ويخرجها من هذه

(١) انظر: تفسير المراغي (21/ 83)و تفسير السعدي (ص: 648)

الأعماق السحيقة في أحشاء الكون[1].

خامساً ـ قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ **[لقمان: 17]**

المعنى الإجمالي للآية: إن الخصلة من الإساءة أو الإحسان، إن تك مثلا في الصغر كحبة الخردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض أي فتكن مع كونها في أقصى غايات الصغر، في أخفى مكان وأحرزه، كجوف الصخرة. أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي يأت بها الله أي يحضرها ويحاسب عليها إن الله لطيف أي ينفذ علمه وقدرته في كل شيء خبير أي يعلم كنه الأشياء، فلا يعسر عليه.[2]

سادساً ـ قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ ﴾ **[لقمان: 18]**

المعنى الإجمالي للآية: لما وصَّى لقمان ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ صار هو في نفسه ممتثلاً للمعروف مزدجراً عن المنكر ، أمر به غيره وناهياً عنه غيره ، نهاه عن

(١) انظر تفسير الطبري (20/ 140) وزاد المسير (3/ 431) والبحر المحيط (8/ 414) وتفسير البغوي (3/ 588) والتفسير القرآني للقرآن(11/ 57) وأضواء البيان (4/ 159) التحرير والتنوير (21/ 162). وتفسير المراغي (21/ 79). وفتح القدير (4/ 272).

(٢)انظر تفسير الطبري (20/ 142) وتفسير السمرقندي (3/ 22) وزاد المسير (3/ 431) ومحاسن التأويل (8/ 30) وتفسير المراغي (21/ 79).

التكبر على الناس والإعجاب والمشي مرحاً، وأخبره أنه تعالى لا يحب المختال، وهو المتكبر، ولا الفخور. قال مجاهد: وهو الذي يعدد ما أعطي، ولا يشكر الله. ويدخل في الفخور: الفخر بالأنساب.(١)

سابعاً ـ قال تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ **[لقمان: 19]**

المعنى الإجمالي للآية: أي: امش متواضعا مستكيناً، لا مشي البطر والتكبر، ولا مشي التماوت ،واغضض من صوتك أدباً مع الناس ومع الله، إن أنكر الأصوات وأفظعها وأبشعها لصوت الحمير فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار، الذي قد علمت خسته وبلادته.(٢)

المطلب الثاني: هدايات الآيات.

أولاً ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢﴾ **[لقمان: 12]**

هداية الآية: شكر الله سبحانه من العبادات العظيمة، والقربات التي يغفل عنها

(١)انظر: البحر المحيط (8/ 416) تفسير البغوي (3/ 589) زاد المسير (3/ 432) تفسير القرطبي (14/ 69) تفسير ابن كثير (6/ 338).

(٢)تفسير السعدي بتصرف يسير(ص: 649).

الكثير ، كما قال سبحانه :﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: 13ـ 14] .

وقد أمر الله تعالى كثيراً من عباده بالشكر ، قال سبحانه عن آل داوود : ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ [سبأ: 13].

- وأمر الله تعالى به موسى عليه السلام ، فقال سبحانه :﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأعراف: 144]
- وأمر به نبينا صلى الله عليه وسلم : ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: 66]
- وأمر به المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: 172] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب شكر الله تعالى ، وما يحمل هذا الذكر من المعاني العظيمة ، التي يحتاج للشاكر أن يستشعرها ، ويفهم معناها ، ليتلذذ بها ، حال ما تتحرك بها شفتيه ، ويؤمن بها قلبه .

ثانياً ـ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: 13]

هداية الآية : وقد تضمنت أعظم الهدايات ، وأغلى الحاجات ، ألا وهي إفراد الله بالعبادة ، والبراءة من الشرك ، ولا يكون ذلك إلا بالتوحيد الخالص لله رب العالمين،

وهو من أكبر أسباب دخول الجنة ، كما جاء في حديث عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله: " مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ الله، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ" (١).

قال أبو العز الطحاوي :" فالتوحيد أول ما يدخل في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». وهو أول واجب وآخر واجب " (٢).

ثالثاً ـ قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ **[لقمان: 14]**

هداية الآية : وصَّى الله تعالى الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ أن يَبَرَّهُمَا ويُطِيعَهُمَا، ثم ذكر الحامل على البر وهذا مما يهيج الولد على بر والديه، فيتذكر مَرْقده في بطن أمه، وتعبَها معه في مدة حَمْلِه، ثم ما قاست من وجع الطلق عند خروجه، ثم ما عالجته في أيام رضاعه من تربيته، وغسل ثيابه، وسهر الليل في بكائه، إلى غير ذلك(٣).

---

(١) صحيح مسلم(57 / 1) ، بَابُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ ، رقم الحديث : 46 .

(٢) شرح الطحاوية ، (ص: 27)

(٣)البحر المديد (4/ 368) باختصار وتصرف يسير.

رابعاً ـ قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَا وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ ﴾ **[لقمان: 15]**

هداية الآية : هنا إشارة إلى موقف آخر يكون فيه الأبوان على غير الطريق المستقيم، على حين يكون ابنهما على طريق الهدى والإيمان، فالأبوان يؤرّقهما هذا الذي استحدثه ابنهما من دين، والابن على يقين من أمره والابن المؤمن هنا، بين حقين يتنازعانه، حق الله، وهو الإيمان به، وحق الوالدين، وإنه لا خيار فإن حق الله أولى وألزم. ولكن مع هذا، فإنه يبقى- مع الاحتفاظ بحق الله، والوفاء به- اللطف، والرفق، والمحاسن. فهذا هو أعدل موقف يأخذه الإنسان هنا، فيحتفظ فيه بحق الله، ولا يجحد بعض ما لأبويه من حقوق(١).

خامساً ـ قال تعالى :﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾ **[لقمان: 16]**

هداية الآية : المقصود: هو الحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته مهما أمكن، والترهيب من العمل القبيح، قَلَّ أو كثر (٢) .

(١)التفسير القرآني للقرآن (11/ 568). باختصار

(٢)تفسير السعدي (ص: 649). باختصار وتصرف

وقوله سبحانه: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾.

كم يقشعر الجلد عند تأمل هذه الآيات العظيمة، فاغمض عينيك، واقرأها، وتأملها، كم هي عدد الجبال والصخور؟ وما حجم السماوات والأرض؟ فأي شي مثقال حبة خردل يأت به سبحانه جل جلاله، إنها تشعرك بعظمته، وكبريائه، وقوته، وقد وسع علمه كل شيء.

سادساً ـ قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ **[لقمان: 17]**

هداية الآية: قد بدأ هذه الوصية بالصلاة، وختمها بالصبر، لأنهما عمادا الاستعانة إلى رضوان الله كما قال: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾.

ثم ذكر علة ذلك، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ أي إن ذلك الذي أوصيك به من الأمور التي جعلها الله محتومة على عباده لا محيص منها، لما لها من جزيل الفوائد، وعظيم المنافع، في الدنيا والآخرة، كما دلت على ذلك تجارب الحياة، وأرشدت إليه نصوص الدين[1].

والمؤمن صابر محتسب راض بقضاء الله وقدره، بل هذه سمة من سمات أهل

(١) تفسير المراغي (21/ 85).

الإيمان ، فعَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (١) .

سابعاً ـ قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾.

هداية الآية: تلك الشعيرة العظيمة ألا وهي التي جعلها الله صفة لأوليائه المؤمنين، وخصلة من خصالهم العظيمة،ابتداءً من نبينا صلى الله عليه وسلم، ودونك الآيات البينات.

- وصف بها نبيه ﷺ فقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الأعراف: 157]

- ووصف الله بها القادة الصالحين المصلحين الذين مكنهم الله في أرضه ، فقال سبحانه :" ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: 41]

- الآباء، وما ينبغي أن يكونوا عليه من تربية أولادهم : كما قال سبحانه واصفاً العبد الصالح :﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ

(١) صحيح مسلم (4/ 2295) ، رقم الحديث (2999) ، باب المؤمن أمره كله خير .

ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: 17]

• العلماء ، والمصلحين ، ومن وفقهم الله تعالى لهذه العبادة الجليلة : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: 104]

• وصف الله بها جميع المؤمنين ، فقال سبحانه : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [التوبة: 71]" .

وبعد عرض هذه الآيات، لا يسعنا إلا أن ندعو الله ملحين في الدعاء أن يوفقنا للقيام بهذه العبادة العظيمة.

ثامناً ـ قال تعالى ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ ﴾ **[لقمان:** 18]

هداية الآية : فلا تتكبر على الناس، وطالعهم من حيث توقن بأنك بمشهد من مولاك، ومن علم أنّ مولاه ينظر إليه لا يتكبر ولا يتطاول بل يتخاضع ويتضاءل(١).

وقد أمر الله نبيه بذا الهدي العظيم ، فقال سبحانه : ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر: 88]

قال الأستاذ : سيد قطب كلاماً جميلاً في ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ ﴾ يقول : " والصعر داء

(١)لطائف الإشارات (3/ 132).

يصيب الإبل فيلوي أعناقها. **والأسلوب** القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر. حركة الكبر والازورار، وإمالة الخد للناس في تعال واستكبار! والمشي في الأرض مرحا هو المشي في تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس. وهي حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق. وهي تعبير عن شعور مريض بالذات، يتنفس في مشية الخيلاء!﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾ " [1].

تاسعاً ـ قال تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ **[لقمان: 19]**

هداية الآية : ومما يستشهد به في هذا المقام حديث أبي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَالَ أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» [2].

فمثل هذا الصنف من الناس ، نسأل الله السلامة والعافية ، حيث يخرج في مشيه عما اعتاد الناس في مشيهم، فيصرع أو يبطئ لغير داعية، إلا أن يرى الناس أنه على غير شاكلتهم. كذلك رفع الصوت، وإطلاقه على مداه، من غير سبب، هو استخفاف بالجماعة، وخروج على مألوفها، وإلفات لهم بهذا الصوت المدوي، إلى مصدره.[3]

(١) في ظلال القرآن (5/ 2790)

(٢) صحيح البخاري (7/ 141) ، رقم الحديث : 5789 ، بَابُ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ .

(٣)التفسير القرآني للقرآن (11/ 573)

الخاتمـــــة

نحمد الله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً على ما مَن به علينا من توفيق وإعانة، لإتمام هذا البحث في وصايا لقمان الحكيم، وأسأله سبحانه أن يجعله من العلم الذي ينتفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وقد ظهر لي من خلال البحث بعض النتائج، وهي كما يلي :

- أن لقمان عليه السلام لم يكن نبياً .
- عدم الخوض في اسمه ونسبه، حيث لم يرد في هذا شيء من القرآن والسنة .
- أن معظم هذه الوصايا تدور حول الحكمة والشكر، فمن كان حكيماً لا يعوق والديه، ولا يتكبر، ولا يتجبر، ولا يصعر خده للناس، ولا يمشي في الأرض مرحاً، ومن كان شاكراّ فذلك هو المسلم الموحد لله سبحانه، المحافظ على صلاته آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر صابراً على ما أصابه .
- حوت هذه الوصايا العظيمة أعظم أصول الدين، وبينت كيفية تعامل الإنسان مع ربه ومع الخلق .

ومن التوصيات التي أوصي بها :

- أن تتظافر جهود المربين في الهيئات التعليمية ، على جميع المستويات ، وتتعاون مؤسسات التعليم على نشر هذه الوصايا العظيمة ، وغرسها في أبناء المسلمين .
- توصية الدعاة وأئمة المساجد بيان القيم التربوية التي تتضمنها هذه الوصايا لكافة المسلمين.
- ترجمة هذه الوصايا العظيمة باللغات ونشرها في مواقع التواصل، وإهدائها لغير المسلمين، ليعلمون عظمة هذا الدين، وكيف يسعى لغرس كل فضيلة، وينهى عن كل رذيلة ويذمها .